الفصل الثالث

آراء توفيق الحكيم في المرأة الملهمة للفنان

إن نظرة على إنتاج توفيق الحكيم تدلنا على مدى ذلك التنوع في كتاباته، سواء من حيث القوالب الفنية أم من حيث المواضيع التي حركته وألهمته، فقد كتب في عدة أشكال فنية، كالقصة والمسرحية والرواية، بل إنه حاول أن يبتكر أشكالاً فنية حديدة كما فعل في كتابه «بنك القلق»[1] الذي جمع فيه بين عنصري الرواية والمسرحية على نحو يكمل أحدهما الآخر في التعبير الفني، وكما فعل في كتابه «أشعب» الذي جمع فيه بين مميزات الرواية ومميزات القصة القصيرة[2]، وكما فعل في كتابه «قالبا المسرحي» الذي حاول فيه أن يبتكر قالباً مسرحياً خاصاً مستخرجاً من باطن التراث العربي القصصي الاخباري، معبراً بذلك عن رغبته في الخروج عن نطاق القوالب المسرحية العالمية[3].

أما بالنسبة إلى المناهل التي استوحاها الحكيم أو استلهمها، فإنها عديدة ومتنوعة، أهمها تجاربه العاطفية مع المرأة؛ إذ يلاحظ أن أغلب آثاره الناضجة لها صلة وثيقة بحياته العاطفية وأحاسيسه الذاتية الخاصة: فروايته «عصفور من الشرق» تعد صيغة فنية لعلاقته بالفتاة الفرنسية «إيما دوران»، وروايته «عودة الروح» تعد إلى حد ما تحويراً فنياً لقصة حبه للفتاة المصرية «سنية»، ومسرحيته «بجماليون» ما هي إلا تصوير لعلاقته بالمرأة[4] بوصفه فناناً. وكذلك الأمر بالنسبة إلى مسرحياته «يا طالع الشجرة» و«شهرزاد» و«العش الهادىء».

وليس معنى هذا أننا ننظر إلى هذه الآثار بوصفها سيرة ذاتية للحكيم. كلا، إننا ننظر إليها على أساس بذور التجربة الشخصية تستغرق أكثر أحداثها. وهذا ما يؤكده الحكيم في حديث أجراه معه «غالي شكري»، وذلك عندما